

تفسير البحر المحيط

@ 179 @ اللفظ لا يكون الذات . وقرأ طلحة والأعمش في رواية زائدة قال : بألف جعله فعلاً

ماضياً { الْحَقَّ } برفع القاف على الفاعلية ، والمعنى قال الحق وهو { ذَالِكْ } الناطق الموصوف بتلك الأوصاف هو { عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ } و { السَّذَى } على هذا خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي . وقرأ عليّ كرم الله وجهه والسلمي وداود بن أبي هند ونافع في رواية والكسائي في رواية { تَمْتَرُونَ } بتاء الخطاب والجمهور بياء الغيبة ، وامترى افتعل إما من المرية وهي الشك ، وإما من المراء وهو المجادلة والملاحاة ، وكلاهما مقول هنا قالت اليهود ساحر كذاب ، وقالت النصارى ابن الله وثالثها ثلاثة وهو { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ * وَلَدَةٍ } هذا تكذيب للنصارى في دعواهم أنه ابن الله ، وإذا استحالت البنوة فاستحالة الإلهية مستقلة أو بالتثليث أبلغ في الاستحالة ، وهذا التركيب معناه الانتفاء فتارة يدل من جهة المعنى على الزجر { مَا كَانَ لَهْلَى الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ } وتارة على التعجيز { مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا } وتارة على التنزيه كهذه الآية ، ولذلك أعقب هذا النفي بقوله { سُيُوحَانَهُ } أي تنزهه عن الولد إذ هو مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ولا تتعلق به القدرة لاستحالته ، إذ هو تعالى متى تعلقت إرادته بإيجاد شيء أو جده فهو منزّه عن التوالد . وتقدم الكلام على الجملة من قوله { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا } . .

وقرأ الجمهور { وَأَنْ } بكسر الهمزة على الاستئناف . وقرأ أبي بالكسر دون واو ، وقرأ الحرميان وأبو عمرو { وَأَنْ } بالواو وفتح الهمزة ، وخرجه ابن عطية على أن يكون معطوفاً على قوله هذا { قَوْلَ الْحَقِّ } { وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي } كذلك . وخرجه الزمخشري على أن معناه ولأنه ربي وربكم فاعبدوه كقوله { وَأَنْ } الممساجيد لله فلا تدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } انتهى . وهذا قول الخليل وسيبويه وفي حرف أبي أيضاً ، وبأن { اللَّهَ } بالواو وباء الجر أي بسبب ذلك فاعبدوه . وأجاز الفراء في { وَأَنْ } يكون في موضع خفض معطوفاً على والزكاة ، أي { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ } وبأن الله ربكم انتهى . وهذا في غاية البعد للفصل الكثير ، وأجاز الكسائي أن يكون في موضع رفع بمعنى الأمر { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ } . .

وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أن يكون المعنى ، وقضى { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ } فهي معطوفة على قوله { أَمْرًا } من قوله { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا }

والمعنى { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا } وقضى { إِنَّ اللَّهَ } انتهى . وهذا تخطيط في الإعراب لأنه إذا كان معطوفاً على { أَمْراً } كان في حيز الشرط ، وكونه تعالى ربنا لا يتقيد بالشرط وهذا يبعد أن يكون قاله أبو عمرو بن العلاء فإنه من الجلالة في علم النحو بالمكان الذي قل أن يوازنه أحد مع كونه عربياً ، ولعل ذلك من فهم أبي عبيدة فإنه يضعف في النحو والخطاب في قول { وَرَبُّكُمْ } قيل لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اليهود والنصارى أمر الله تعالى أن يقول لهم { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } أي قل لهم يا محمد هذا الكلام . وقيل : الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله { إِنَّ رَبِّي عَبْدُ اللَّهِ } الآية وإن الله معطوف على الكتاب ، وقد قال وهب عهد عيسى إليهم { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ } ومن كسر الهمزة عطف على قوله { إِنَّ رَبِّي عَبْدُ اللَّهِ } فيكون محكياً . يقال : وعلى هذا القول يكون قوله { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ * إِلَهِ * وَأَنَّهُ } الله { حمل اعتراض أخبر الله تعالى بها رسوله عليه السلام . . . والإشارة بقوله { هَذَا } أي القول بالتوحيد ونفي الولد وال صاحبة ، هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده إلى النجاة { فَاتَّخَذَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ } هذا إخبار من الله للرسول بتفرق بني إسرائيل فرقاً ، ومعنى { مِنْ بَيْنِهِمْ } أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف سببه غيرهم . و { الْأَحْزَابِ } قال الكلبي : اليهود والنصارى . وقال الحسن : الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس انتهى . فالضمير في { بَيْنَهُمْ } على هذا ليس عائداً على { الْأَحْزَابِ } . وقيل : { الْأَحْزَابِ } هنا المسلمون واليهود والنصارى . وقيل : هم النصارى فقط . . . وعن قتادة إن بني إسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم . فقال أحدهم : عيسى هو الله نزل إلى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات ، فكذبه الثلاثة واتبعته اليعقوبية . ثم قال أحد الثلاثة : عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعته النسطورية ، وقال أحد الاثنين : عيسى أحد ثلاثة الله ، ومريم إله ، وعيسى إله فكذبه